٢ ــ السياسة الاسرائيلية .

يخبر هركابي القسم الثاني من كتابه . وهو بعنوان « السياسة الاسرائيلية » . انه طابع « تنظيري تقريري » . بينما كان القسم الاول وصفيا تحليليا . ويرى ان « الصداقية الاكبر » هي للقسم الاول ، لكونه « يقف على ارض اصلب » (ص ٨٠) . وبهذه الطريقة يتهرب هركابي من تعيين ملامح واضحة وراسخة للسياسة الاسرائيلية ، فهو يترك هذه السياسة عرضة للاحتمالات المختلفة . بينما هي ليست كذلك في الواقع . يقول هركابي : « يمكننا بصورة عامة ومطلقة ، القول ان السياسة الاسرائيلية كانت خلال مراحل النزاع جميعا تلخص بأنها سياسة ردود الفعل . فكانت تحاول الاثبات قولا وعملا ان ابادة دولة « اسرائيل » هي غير مبررة . كما انها غير ممكنة » (ص ٨٣ ، ٨٤) .

فهل كانت حقا السياسة الاسرائيلية طوال تاريخ الصراع (وليس النزاع) مجرد سياسة ردود الفعل على السياسات العربية ؟

الم تقم السياسة الصهيونية المرتبطة عضويا بالامبريالية بدورها العدواني ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى ، خدمة للمصالح الاستراتيجية الامبريالية في هذه المنطقة ، ان هركابي ، هنا ، يصور سياسة رد الفعل الفلسطيني والعربي على الدور العدواني الامبريالي ، بانه الاصل والسبب ، بينما السياسة الاسرائيلية نتيجة . وهذا قلب معكوس لابسط الحقائق .

فدولة اسرائيل لم تقم نتيجة لتطور طبيعي ، بل بفعل عمل استعماري مصطنع ، وهو عمل موجه ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى ، ووقوده وضحيته اليهود المضللين الذين تمكنت القوى الامبريالية والصهيونية من استغلال اوضاعهم الصعبة ، وبالتالي وضعهم امام ظروف وخيارات محددة بحيث لم يجدوا مخرجا لهم سوى القبول بالمجيء الى فلسطين .

وهركابي يريد ، هنا ، ان يخفي الطبيعة العدوانية للعدو الصهيوني ، مصورا اياه بالضحية التي يحيط بها الاعداء المتربصون . وهكذا يتحول الذئب الى حمل وديع مضطر دائما ان يرتدي ثياب الاسد للدفاع المشروع عن النفس !

والواقع ان اسرائيل استطاعت ان تكسب تأييد الراي العام العالمي في مرحلة الخمسينات بفعل ضعف حركات التحرر الوطني والتضليل الاعلامي الامبريالي الصهيوني الواسع النطاق . وقد استخدمت اسرائيل ، حسب تعبير هركابي نفسه ، الكثير من الوسائل التضليلية لكسب الراي العام العالمي . فقد « استثمرت نقاط الضعف العربية .. والظواهر القبيحة في الموقف العربي وهي الشتائم الكثيرة المشعبة والتشهير واللاسامية ، من اجل الضغط عليهم ، وكان يجب عليها ، ايضا ، ان تبرز الارتباط الحضوي بين ابادة الدولة وابادة الجنس وتحقير الاسرائيليين واليهود » (ص ٨٨) .

والواقع ان اسرائيل والقوى الامبريالية نجحت اعلاميا في وضع علامة مساواة بين ابادة الدولة وابادة اليهود ، مستغلة في ذلك بعض المواقف الايديولوجية الرجعية العربية والتصريحات الديماغوجية لبعض القادة والحكام العرب .

ان اصالة الموقف الصهيوني في فكر هركابي لا حدود لها ، بل هي التي توجهه نحو اتخاذ مواقف الدونة الظاهرية ازاء التغيرات والضغوط المختلفة التي تتعرض لها اسرائيل . فهو ليس ضد مبدأ تقديم التنازلات خطوة خطوة شرط ان تقترن بمكاسب امنية وسياسية واقعية مضمونة ومن شأنها ان تقوي اسرائيل . ودور اسرائيل ، وامنها ، هو ما يشغل هركابي الذي يعتقد ان الحوافز الدينية والصهيونية هي عوامل قوية ، في الحقيقة . ومع ذلك ، فانها ثانوية اذا ما قورنت بمسألة البحث عن الامن ، اضافة الى انها منبثقة منها » (ص ٩٢) .

وتوجه هركابي اللوم للسياسة الاسرائيلية لانها شغلت نفسها بعد حرب ١٩٦٧ بالمطالب الاقليمية التوسعية بينما كان ينبغي ربط هذه المطالب بالمسالة الامنية لانها « الاساس » (ص ٩٢) .

فلم يكن ينبغي التمسك بالمناطق المحتلة عام ١٩٦٧ مهما كان لبعضها وقع ديني توراتي . الا من خلال التشديد على المسالة الامنية . « لقد وقعت اسرائيل في فخ تناقض شديد : فبينما كان سلوكها ومطالبها الاقليمية مدفوعا بالوعي للتهديدات العربية ، لجأت الديلوماسية الاسرائيلية الى اسقاط عامل هذه التهديدات » . (ص ٩٢) . وقد اضعف اسرائيل امام الراي العام العالمي عدم ربطها للمسالة